النظريات البنائية بين النموذج والتحولات النصية

*عبد الله العنبر**

ملخص

يبين هذا البحث أنَّ تجديد النظر في مفاهيم النظرية البنائية في تشكيلها الكلي يكتسب مشروعيته من كون هذه المفاهيم في تكوثر دائم إذْ تختلف باختلاف أنظار المهتمين بها والمنطلقات المنهجية التي يصدرون عنها، ويقترح تشكيل نموذج بنائي يتم اختياره في ضوء ما يتكلمه النص الأدبي وأنْ يكون مرنا وقابلاً للتطوير مواكبةً للتحولات النصيّة وكشفا عن الاستعارات التي تحيا بها أدبية الأدب، وأنْ يتجاوز هذا النموذج البنائي الواقع التجريبي بحثاً عن المُتخيل الذهني الذي يجمع أنساق النصوص الأدبيّة ويجسد تمثيلها الدلالي، وأنْ يحيط بالاستراتيجيات الموجهة للنصوص الأدبية في سيرورة تشكيلها للمقاصد الجمالية. ويكشف هذا البحث أنَّ البنية هي المدخل المنهجي لقراءة ما يضمره النص الأدبي من دلالات في وجدانه اللغوي. فهي نقطة الانطلاق لتجاوز الدلالة الذاتية التي تتمتع بها البنى نحو اكتناه المستوى الجمالي الناتج عن تموقعها في علاقات تجاور تحتكم إلى النسق الكلي.

ويوضح أنَّ النظرية البنائية تتقصى المداخل الدلالية التي تهيمن على تضاريس النص الأدبي اقتناصاً للفرادة المائزة، واستطلاعاً للطاقات التعبيرية الكامنة بين عوامل التخفي ومرايا التجلي. ويبدي أنّ النظرية البنائية تستند إلى استراتيجية كبرى هي العلاقات التي تتيح قراءة الأنساق المشتركة للظواهر الإنسانية والاجتماعية وتسهم في الربط الكوني بين منهجيات العلوم الإنسانية. وينتظم هذا البحث في أربعة أبعاد:

الأول: مفاهيم النظرية البنائية ويتضمن مطلبين:

1. البنية نسق تجريدي.
2. البنية استراتيجية لقراءة العلاقات البنائية.

الثاني: النموذج البنائي والتحولات النصيّة.

الثالث: استراتيجيات النظرية البنائية ومقاربة النص الأدبي

الرابع: مقاربة بنائية لمقاطع من جدارية محمود درويش

الكلمات الدالة: النظريات البنائية، التحولات النصية، البنية، النص الأدبي.

المقدمـة

يظهر هذا البحث أنَّ البنيوية بنيويات وأنَّ تعريف النظرية البنائية يختلف باختلاف أنظار المهتمين بها والمنطلقات التي يصدرون عنها في اقتناص الموجهات التي تحتكم إليها النصوص الأدبية، ويصدر عن مطلب مفاده أنَّ النقاد المعاصرين مطالبون بتشكيل نموذج بنائي قادر على اكتناه النصوص الأدبية واستطلاع تجلياتها المائزة.

وأنَّ النموذج البنائي المقترح لا بد أنْ يصغي لما تقوله النصوص الأدبية بحثاً عن النسق الكلي المهيمن على أدبية الأدب. وأنْ يتجاوز هذا النموذج الواقع التجريبي الذي تحتكم إليه النصوص الأدبية توخياً للمتخيل الذهني الذي يجمع أنساقها ويجسد تمثيلها الدلالي. ويقارب هذا النموذج البنائي رحلة المعنى التي تقودها لغة النص الأدبي بطريقة تؤرق القارئ وتستفزه لوعي طاقاتها وغموضها كشفاً عن مرايا التخفي وعوالم التجلي. ويبين هذا البحث أنَّ اللغة بذاتها ولذاتها هي المدخل المطروح لقراءة النص الأدبي كشفاً عن الاستراتيجيات التي تضئ طاقة اللغة وفق تموضع يجسد سطوة الإبداع ويحقق أوهاج الدلالة.

ويكشف أنَّ البنية تشكل استراتيجية لقراءة ما يضمره النص الأدبي من دلالات في وجدانه اللغوي، فهي العنصر الحاسم في قراءة النص الأدبي والتعرف على الطرق التي يمارس فيها تكوثره البياني المؤسس على مظاهر التفرد، وأنَّ البنية تؤلف

* كلية الآداب، الجامعة الاردنية. تاريخ استلام البحث 2016/7/23، وتاريخ قبوله 2016/8/29.

 © 2018 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

نسقاً تجريدياً ويعتمد عليها الناقد البنائي في بيان كيفية قيام العناصر اللغوية بوظائفها داخل النسيج النصي حتى تبلغ أقصى درجات البيان وفق صيرورة تضاعف دلالاتها والدينامية التي تحيا بها، ويبدي هذا البحث أنَّ النظرية البنائية تستند إلى استراتيجية العلاقات التي تشخص هويات البنى إظهاراً لوظائفها المائزة والمسؤولة عن تشكيل مقاصدها الجمالية، وتعتمد هذه الاستراتيجية على فكرة مؤداها أنّ الدلالة التي تكتسبها البنية من المجموع الكلي تختلف عن دلالتها خارج الفضاء النصي، وتتخطى استراتيجية العلاقات الدلالة الذاتية للبنى نحو اكتناه المستوى الجمالي الناتج عن تموقعها في نسق يحقق غايتها الجمالية. وتتيح قراءة الأنساق المشتركة للظواهر الإنسانية والاجتماعية، وتسهم في الربط الكوني بين منهجيات العلوم الإنسانية، ويرصد النقد البنائي المنظومات المهيمنة على سيرورة البنى انطلاقاً من فكرة مؤداها أنَّ الكل يتعالى على الأجزاء التي يأتلف منها، وينتظم هذا البحث في أربعة أبعاد:

الأول: مفاهيم النظرية البنائية ويتضمن مطلبين:

1. البنية نسق تجريدي.
2. البنية استراتيجية لقراءة العلاقات البنائية.

الثاني: النموذج البنائي والتحولات النصيّة.

الثالث: استراتيجيات النظرية البنائية ومقاربة النص الأدبي.

الرابع: مقاربة بنائية لمقاطع من جدارية محمود درويش

الأول: مفاهيم النظرية البنائية

يسعى هذا البحث إلى إعادة النظر في مفاهيم النظريات البنائية توخياً لمعرفة الاستراتيجيات التي تصدر عنها هذه النظريات في مواجهة تحولات النصوص الأدبية وتجلياتها، وتشكل هذه المفاهيم مرايا منهجية قادرة على كشف الأنساق التي تحتكم إليها هذه النصوص في تكوينها لمقاصدها الجمالية.

وتتعدد مفاهيم البنائية مما يضع الناقد أمام حشد من التيارات النقدية التي يموج بها المشهد النقدي، وتبقى مسألة تشكيل نظرية بنائية كلية هي المدخل المطروح للخروج من التيه، فالنقاد المعاصرون مطالبون بتشكيل نظرية بنائية كلية تواكب النصوص الأدبية في تزامنها وتعاقبها بحثاً عن المنظومات الكلية التي تحتكم إليها، ونريد لنقدنا الحداثي أنْ يكون مستوعباً للتحولات المنهجية التي تشهدها النظريات النقدية في حركات مدها وجزرها كشفاً عن الأنساق الكلية بينها وتأصيلاً لنظرية نقدية عربية تتخطى حدود الزمان والمكان.

وتكتسب مسألة تجديد النظر في مفاهيم النظريات البنائية مشروعيتها من كون هذه المفاهيم في تكوثر دائم التحول إذ تختلف باختلاف أنظار المهتمين بها والمنطلقات المنهجية التي يصدرون عنها، وتحقق هذه المفاهيم فاعليتها انطلاقاً من تشكيلها على هيئة منطلقات تؤسس عليها النظرية البنائية في تشكيلها الكلي، وتمضي هذه المفاهيم في سيرورة منهجية قابلة للتطبيق على النصوص الأدبية واكتناه المعايير الجمالية التي تكسب هذه النصوص تأثيرها، ويبدو أنَّ النظرية البنائية تشكل الجامع النقدي الذي تنصهر فيه هذه المفاهيم وتتموقع في سياق يستثمر المختلف توخياً لنسق مؤتلف يرصد المقاصد الجمالية الناجمة عن تحولات البنى.

ويضع هذا البحث المفاهيم موضع النقد والتحليل كشفاً عن الفاعلية المنهجية التي تحتكم إليها وإظهاراً لطرق بيانها عن القوى المهيمنة على تجليات النسق. ويبدو أن البنيوية بنيويات، لأنّ مفاهيم البنائية تستقي عالمها من تعدد المنهجيات التي تمنح هذه المفاهيم اختلافها في طرق قراءة النص الأدبي بحثاً عن التقنيات التعبيرية المسؤولة عن وجوه الجمال فيه. وتشكل مفاهيم البنائية مفاتيح لقراءة النص الأدبي وتكشف الطاقات التعبيرية التي يحيا بها، وهكذا تحاور النظريات البنائية النص الأدبي بحثاً عن وجوه الفرادة المهيمنة على جسده وطرائق تشكيله وتصدر عن الثنائيات الضدية المسؤولة عن عوالم التخفي ومرايا التجلي. وتسعى إلى قراءة علاقات التجاور التي تنتظم النص الأدبي في نسق خاص بغية البيان عن طرائق تكوينها على شكل دون آخر، وتؤسس لوعي النظام الكلي الذي يشكل النسق الناظم المتحكم بقواعد البنية وقوانين اللغة توخياً للدلالة الكلية المسؤولة عن كثافة الإنتاج الدلالي.

ومن المبادئ المقترحة هنا وضع مفاهيم النظرية البنائية المتعددة في سياق تصور منهجي ينتظمها، ويشكل منها جهازاً تفسيرياً يستطلع تجليات النصوص الأدبية في وجوهها المختلفة، ويكشف طرق تشكيلها لأدبية الأدب، وهنا نعرض لتعريف البنية وفق مفهومين:

1. البنية نسق تجريدي.
2. البنية استراتيجية لقراءة العلاقات البنائية.

1. البنية نسق تجريدي

البنية نسق تجريدي قادر على تفسير سيرورة النص الأدبي بحثاً عن عناصر الهيمنة المسؤولة عن المزايا الجمالية، وهي مفتاح منهجي يسهم في بيان كيفية قيام العناصر بوظائفها حتى تبلغ أقصى درجات البيان من خلال توزيعها في صيرورة تضاعف دلالاتها. وتؤطر هذه البنية لقراءة العناصر اللغوية كشفاً عن تموقعها في المواقع التي تليق بها وإظهاراً لمقاصدها الجمالية، وهكذا تفسر شيفرات النص الأدبي انطلاقاً من

العلاقة بين دينامية النظم وتجليات المتخيل الذهني المنظم لها.

وهنا يتضح أنَّ: "البنية هي تصور تجريدي من إنتاج الذهن وليست خاصية للشيء، فهي نموذج يقيمه المحلل عقلياً ليفهم على ضوئه الشيء المدروس بطريقة أفضل وأوضح، فالبنية موجودة في العمل بالقوة لا بالفعل، وإذا كان مصطلح البنية يثير انطباعاً مرتبطاً بشيء مادي، كأنَّه هيكل عظمي أو تصميم داخلي للأعمال الأدبية بما يشمله من خطوط أساسية منظورة، فإنَّه ينبغي أنّ نأخذ في الاعتبار أنّ البنية الأدبية ليست شيئاً حسياً يمكن إدراكه في الظاهر، حتى لو حددنا خصائصها التي تتمثل في عناصرها التركيبية، وإنَّما هي تصور تجريدي يعتمد على الرموز وعمليات التوصيل التي تتعلق بالواقع المباشر، وتعد البنية شيئاً وسيطاً يقوم فيما وراء الواقع" (فضل، 2007). ومن هنا يبدو أنَّ: "البنية شكل تصوري افتراضي يفترضه البنيوي لدواع منهجية عندما يكون بصدد دراسة حقل معين وتحليله، وهي منظومة شاملة من العناصر الجزئية المتسقة والمتجانسة فيما بينها، وتعمل وفق جملة من القوانين الشاملة. وهكذا فإنَّ البنية منظومة تحتكم لقانون الضبط الذاتي" (العنزي، 2013). ومن الملاحظ أنَّ البنية تؤسس على تصور تجريدي يقوده المخيال الذهني للإبانةعن طرق تنظيم البنى في مستويات تحقق تموقعها كشفاً عن العلاقات التي تنتظم تشكليها.

وهكذا تشكل البنية نسقاً افتراضياً ينطوي على جملة من الإجراءات المنهجية التي يعتمد عليها الناقد البنائي في مقاربته لمنازل البنى في تعبيرها عن المقصد بطريقة مائزة، ويؤكد هذه الفكرة أنَّ البنية: "نسق أو إطار ذهني، أو هيكل تكويني يتمتع بتنظيم ذاتي، وهي، وإنْ تكن جزءاً من الواقع، إلا أنّها ليست الواقع التجريبي الذي تقدمه المباشرة الأولية وإنَّما هي المستوى غير الظاهر الذي يجب الكشف عنه وراء المعطى المباشر" (ذريل، 1980).

وهذا يعني أنَّ البنية نسق ذهني تختزنه النصوص الأدبية ويؤلف تمثيلها الدلالي، وهي هيكل تكويني يحيط بتخوم النص الأدبي ويرسم تمظهر تجلياته. ويستدعي الناقد البنائي النسق الذهني الجامع لمجموعة نصوص أدبية في سياق البحث عن هويات ظلها مما يشكل نموذجاً تجريدياً قادراً على قراءة أدبية الأدب، ويوافق هذا المفهوم فكرة نصها أنَّ: "أبسط تعريف للبنية أنْ يقال: "إنَّها نظام أو نسق من المعقولية، فليست البنية هي صورة الشيء أو هيكله أو وحدته المادية أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنَّما هي القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته". (إبراهيم، 1990).

وهكذا فإنَّ النظر للبنية على أنَّها نظام أو نسق يجعل منها منهجية قادرة على اكتناه النصوص الأدبية كشفاً عن الهياكل البنائية التي تؤسس عليها، وتسهم البنية في رصد القوانين الكلية التي تحتكم إليها هذه النصوص في تحولاتها المائزة ووجوه تفردها.

وتشكل فكرة النسق استراتيجية تفسيرية قادرة على اكتناه البنى انطلاقاً من الهيكل التنظيمي الذي تنتمي إليه، وهنا يتبين أنَّ: "البنائية ليست مدرسة مذهبية ولا حركة فكرية ولا ينبغي حصرها في مجرد نزعة علمية، فهي نشاط قبل أي شيء آخر، أي تتابع منتظم لعدد من العمليات العقلية الدقيقة، والهدف الجوهري من وراء هذا النشاط البنائي إعادة تكوين الشيء بطريقة تبرز قوانين قيامه بوظائفه، فالبنية هي صورية الشيء التي تسمح بفهمه وإدراك تكوينه وطريقة تشغيله" (فضل، 2007).

يكشف هذا المفهوم للنظرية البنائية عن المنطلقات التي تستند إليها هذه النظرية في قراءة النص الأدبي، ويصف الطرق التي تنتهجها في سعيها لإظهار خصوصية التشكيل، ويعتمد هذا المفهوم للبنائية على العلاقة الجدلية بين إفراد عناصر البنية وتركيبها بغية بيان وظائفها وتأثيرها في تشكيل المزايا الجمالية، وهكذا تؤلف النظرية البنائية منطلقاً للبيان عن بنية النص الأدبي من حيث الشكل والمستوى الذهني المسؤول عن التمثيل الدلالي وصولاً إلى المزايا الجمالية وطرق تأثيرها على المتلقي.

وهكذا فإنَّ: "البنيوية فاعلية، أي هي التعاقب المضبوط لعدد معين من العمليات الذهنية، وأنَّ هدف الفاعلية البنيوية هو أنْ تعيد بناء شيء موجود بطريقة تبرز قواعد الأداء الوظيفي (الوظائف الأدائية) لهذا الشيء الموجود. ولذلك فإنَّ البنية في الواقع هي مَصْورَةٌ للشيء الموجود بطريقة موجهة معنيَّة" (بارت، Roland Barthes، 1981).

وهكذا تشكل البنية تصوراً تجريدياً يتقصى الموجهات التي تحتكم إليها النصوص الأدبية انطلاقاً من المفاتيح الناظمة لها على الوجه الذي تقتضيه أدبية الأدب، وتتجاوز هذه البنية التجريدية ظاهر النصوص الأدبية توخياً لاكتناه الدينامية التي تضمرها في سياقها الكلي، وتتصف هذه البنية التجريدية بالمرونة لكي تناسب مختلف النصوص الأدبية وتكون قادرة على كشف تموقع العناصر اللغوية وفك رموزها وبيان الشيفرات التي تحتكم إليها.

وصفوة القول يمكن تعريف النظرية البنائية بأنَّها: "طريقة من الطرائق الفكرية والمنهجية متشعبة، ومتنوعة في اتجاهاتها، تقوم على تفاعل مجموعة من العناصر والعلائق في صيغتها الرياضية والفيزيائية، وتشكل نسقاً، أو بنية متكاملة، مغلقة،

وتدعي استيعاب كل المسائل والمشاكل المطروحة التاريخية والنفسية والاجتماعية في منظور واحد، وتقوم على الفرز بين فعاليتين: الوعي واللاوعي، وفعالية اللاوعي هي الأكثر شأناً في الداخل، وكذلك بين حدين داخلين في تركيب هذا المفهوم "البنيوية" أي التزامن والتزمن: الأول سكوني، ويوصف بالحركة أحياناً، والآخر تطوري، والبعد الباطني للنص هو ما يعبر عن حقيقة هذه الطريقة التي تنظر إلى كل مشكلة أو مسألة تستقبلها من منظور واحد" (محمود، 1991).

ويظهر هذا المفهوم للنظرية البنائية أنَّ البنية ترتكز على منظومة منهجية وتحاور النص الأدبي محاورة داخلية مدارها تفكيك البنى وإعادة إنتاجها لرصد الوسائل اللغوية المنظمة لصياغة هذا النص على وجه دون آخر، ويؤسس هذا المفهوم لوعي البنية العميقة الثاوية وراء تشكيل النص الأدبي ويكشف عن المستوى الذهني الذي يموقع البنى تحقيقاً للوحدة الدلالية الكبرى. ويبيّن الالتفات إلى ثنائية التزامن والتعاقب والمستوى العميق أهمية الإحاطة بوسائل النسج البنائي المعتمد على سيرورة البنية في ثبوتها ومغايرتها تحقيقاً لتفسير جمالي لمظاهر التحول عن النسق، وتقرأ النظرية البنائية النص الأدبي انطلاقاً من طرق نظم البنى على وجه خاص يحتكم لتجليات البنية العميقة ويجسد تمثيلها الدلالي.

2. البنية (استراتيجية علاقات)

تستند النظرية البنائية إلى استراتيجية العلاقات التي تشخص هويات البنى إظهاراً لوظائفها المائزة المسؤولة عن فرادة التشكيل. وتتقصى وجوه الانتظام البنائي اعتماداً على المنظومة النصية التي تتوقف دلالة كل بنية فيها على موقعها من السياق الكلي، وتكشف هذه الاستراتيجية عن التجسيد الدلالي انطلاقاً من فكرة مفادها أنَّ العناية بمطالب الشكل هي عناية بتجسيدها الدلالي، وتقيس كثافة البنى وتظهر فرادتها وتبين معالم جمالها في تشكيل تجليات النص الأدبي، وتقرأ أساليب نظم البنى بحثاً عن الشيفرات التي تنتمي إليها، وتفصح عن وجوه استخدام اللغة بطريقة خاصة ممّا يظهر أثر وسائل التماسك النصي في تشكيل لذة النص.

وتروم النظرية البنائية من خلال استراتيجية العلاقات استطلاع المعايير التي تنتظم البنى لتأخذ مكانها على وجه يحقق للنص الأدبي انتظامه وفق سيرورة مائزة، وهذا يظهر أنَّ الإحاطة بمنظومة العلاقات التي يندا ح في تضاريسها النص الأدبي يفضي إلى الاهتمام بتجليات البنى كشفاً عن مزاياها الجمالية، ومن المقرر أنَّ: "الحديث عن بنيوية المنهج وبنية الظاهرة الأدبية التي يعالجها المنهج لا بد أنْ يقود إلى أمر مهم يرتبط بإلحاح المنهج على التقاط كليات الظاهرة الأدبية وأنساقها ونظمها، وتحليلها تحليلاً يؤكد أنَّ الظاهرة الأدبية تنطوي على خاصية لا يمكن اختزالها من الأجزاء المنعزلة" (عصفور، 1981). وهكذا تكشف النظرية البنائية العلاقات التي تحتكم إليها النصوص الأدبية في تراسلها الوظيفي وتكاملها الذي يحقق وجوه تفردها في إنتاج الدلالة. وتركز على الكليات اللغوية ممّا يجعل استراتيجية العلاقات تشكل السياق المرجعي الذي تنصهر فيه أوهاج الدلالة لتؤلف عالماً خاصاً يعرف بخصوصية التشكيل. وانطلاقاً من هذا الأساس فإن هذه الاستراتيجية تموقع البنى التي ينتظمها النص الأدبي استجابة للتشكيل الجمالي ومضاعفة لقوى الدلالة إلى أقصى تجلياتها.

وتعرف البنية على أنهّا: "نسق من العلاقات الباطنية (المدركة وفقاً لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانينه الخاصة المحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي، على نحو يفضي فيه أي تغير في العلاقات إلى تغير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالاً على معنى". (كريزويل، Edith Cresulell، 1993).

ويبيّن هذا المفهوم للبنية أنَّ استراتيجية العلاقات تتصدى لقراءة البنى في سياق إنجازها لوظائفها، وتظهر الروابط الدلالية التي يحتكم إليها الهيكل البنائي الذهني المجسم لطبقات البنية، وتؤلف هذه الاستراتيجية النسق المنظم لوظائف النص الأدبي بطريقة حيوية تجسم مواقع البنى وفق كليات يصوغها المستوى الذهني على الوجه الذي يقتضيه المقصد، وتؤسس على مبادئ الاكتمال الدلالي انطلاقاً من فكرة مؤداها أنَّ دلالة كل بنية تتعين بالنسبة لعلاقات التجاور وأنَّ أيَّ تغير في موقع هذه البنية يؤدي إلى تغير في الدلالة الكلية.

ونشير هنا إلى أنَّ قيمة البنية لا تظهر من خلال العنصر أو الكل وأنَّ جوهر النسق هو: "العلاقات القائمة بين العناصر، على اعتبار أنَّ الكل ليس إلا الناتج المترتب على تلك العلاقات أو التآلفات مع ملاحظة أنَّ قانون هذه العلاقات ليس إلا قانون النسق نفسه(إبراهيم، 1990). ومعنى ذلك أنَّ: "المكونات تجتمع لتعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كل واحدة منها، ولذلك فالبنية تختلف عن الحاصل الكلي للجمع؛ لأنَّ كل مكون من مكوناتها لا يحمل نفس الخصائص إلا في داخل هذه الوحدة، وإذا خرج عنها فقد نصيبه من هاتيك الخصائص الشمولية"(الغذامي، 1985).

وبيان ذلك أنَّ البنية تقام على شبكة علاقات يجسدها النص الأدبي على هيئة منظومة تحتكم إلى سياق متكامل

الأبعاد، وأنَّ استراتيجية العلاقات تفرض سلطتها على هيئة نسيج مداره انتظام البنى في شكلها النهائي تحقيقاً للدلالة الكلية التي تقودها تجليات النسق.

وهكذا يتضح أنَّ: "البنية ليست مجموعة من العناصر المتآزرة، ولكنَّها كل ينبغي اعتباره من وجهة نظر علاقاته الداخلية طبقاً للمبدأ المنطقي الذي يقضي بأولوية الكل على الأجزاء" (فضل، 2007).

وغني عن البيان أنَّ هذه الفكرة تكشف أنَّ الدلالة التي تكتسبها البنية من المجموع الكلي تختلف عن دلالتها خارج الفضاء النصي، وأنَّ العلاقات تفرض نسقاً يحافظ على سيرورة البنى داخل الكل الذي تنتمي إليه وأنَّ التحولات التي تتعرض لها البنية تحتكم لقانون التحكم الذاتي الذي يشكل محوراً تتلاقى عليه وجوه الانتظام.

ويتضح: "أن الطبيعة الحقيقية للأشياء لا تكمن في الأشياء نفسها، بل في العلاقات التي نكونها، ثم ندركها بين الأشياء" (هوكز، Trance Hooks، 1986).

وهكذا تتخطى النظرية البنائية الدلالة الذاتية التي تتمتع بها البنى نحو اكتناه المستوى الجمالي الناتج عن تموقعها في منظومة علاقات يحتكم إليها النسق. ويعتمد التحليل البنائي التفسير الكلي استشرافاً للمقاصد الجمالية وإنْ كانت كل بنية تنفرد بدلالة تميزها من غيرها: "فالمعنى يتعاون مع غيره من المعاني في الائتلاف، وإنْ كان كل معنى يصور هيئة بذاته، إلا أنَّه إذا جاء ضمن تركيب شامل، فإنَّه ينظر إليه منظماً مع المعاني التي تنسجم معه في الإتصال والائتلاف" (أبو علي، 1988) وتُبيّن النظرية البنائية علاقة البنى من خلال النظام الذي تنتمي إليه، وترصد ما يجري لها في سياق الوظائف الجمالية التي تؤديها. وتشكل استراتيجية العلاقات مدخلاً لإظهار الملامح المائزة التي تحقق لهذه البنى غايتها الأدبية. ويتبيّن من ذلك أنَّ الموقف البنائي هو: "الموقف الذي يركز اهتمامه لا على العنصر الواحد فحسب، ولا على الكل المفروض هكذا ضربة واحدة، إنَّ ما يهمه بالدرجة الأولى هو ملاحظة العلاقات المتداخلة التي تربط بين العناصر، ثم عملية تشكيل الكل التي لا تتوقف من خلال هذه العلاقات" (صالح، 1980).

ومن المقرر: "أنَّ العلامة اللغوية لا تعني في عزلة ولا تمتلك خصائص محددة نهائية، بل تعني ضمن نظام من العلاقات تنتسب إليه وتندرج فيه. وما يتضمنه هذا المنطلق، إذا نقل من مستوى العلامة اللغوية إلى مستوى المكونات الأكثر شمولية لعملية الإبداع الشعري، هو أنَّ مفاهيم مثل "النمو العضوي" أو "الحركة " أو "التماسك" أو "التكامل" لا تعني في عزلة ولا تشكل قيمة أدبية إيجابية، وأن قيمتها الفعلية تنبع من البنية التي تتبلور فيها أو تختفي منها وأنَّ لغيابها دلالات لا تقل جوهرية عن وجودها" (أبو ديب، 1987).

وهذا يدل أنَّ استراتيجية العلاقات تشكل وسيلة منهجية قادرة على رصد عناصر الحضور والغياب انطلاقاً من قاعدة تضبط تمظهر البنى اللغوية وتمثيلها الدلالي، وأنَّ كسر النسق البنائي يفسر في ضوء مفهومي المغايرة والتمايز في طرق التنظيم مما يضاعف الطاقة الإيحائية ويشكل الملامح المائزة. وهنا يتبين أن: "كل مستوى من مستويات العمل الفني يصبح تحولاً كلياً للمستوى الدلالي، وتصبح العملية النقدية في جوهرها عملية اكتناه للعلاقات المتشابكة والتفاعلات التي تنشأ من اختيار مركز معين من النص، ويتم كشف دور كل منها على تجسيد البنى الأخرى فيه وتجسيد بنيته الدلالية الأساسية النابعة من مركز معين" (أبو ديب، 1978). وهكذا: "ينبغي أنْ تفضي كل جزئية إلى التوغل في مركز الأثر الأدبي بناء على ما تقرر أنَّ لكل منها علتها وأنَّها تتكامل مع سائرها، فبذلك تتحقق رؤية التفاصيل في جملتها، ورب جزئية تأدى منها المرء إلى مفاتح الأثر الأدبي كله كما تشهد بذلك قدرتها من حيث هي مؤشر مشترك على تفسير ما نعلمه ونلحظ من الأثر" (عبد البديع، 1970).

وهذا الموقف يبين لنا أهمية قراءة مجموعة الدلالات التي تنتظمها البنية الكلية، وعلة ذلك أنَّ كل بنية تؤدي وظيفة خاصة مما يجعل الدلالة الكلية ناتجة عن تلازم مكونات النسق انطلاقاً من فضاءات التجاور.

والملاحظ أنَّ النقد البنائي: "يعني بالكشف عن العلاقات المتشابكة بين عناصر العمل الأدبي، وعلة ذلك أنَّ هذه العلاقات هي عين الحقيقة. فما العالم سوى مجموعة من الحقائق وما الحقائق سوى علاقات راهنة. وهكذا لا يبحث التحليل البنيوي للأدب عن محتوى العمل الأدبي ولا عن شكله، وإنَّما يبحث عن بنيته التي تختفي وراء الظاهر، وعن العلاقات بين أجزائه وبينها وبين الكل" (عزام، 1996).

وهنا يتضح أن استراتيجية العلاقات هي طريقة منهجية لاكتناه الانتظام الداخلي الذي يحتكم إليه النص الأدبي في ترتيب عناصر البنية، وأنَّ هذه الاستراتيجية تشكل دعوة لقراءة النص الأدبي قراءة داخلية تعتمد على استقلال البنية انطلاقاً من فكرة مؤداها أن جماليات هذا النص تصدر عن الأسس التي يستند إليها.

وهكذا يتضح أنَّ: "البنيوية نمط من التفكير يقرأ الظواهر الإنسانية وينطلق من فرضية أساسية، وهي انتظام الظواهر في بنى كامنة وانحكام الدلالة بالعلاقات القائمة ضمن تلك البنى.

(الرويلي والبازعي، 2000).

ويؤكد هذا الاتجاه أنَّ: "النظرية البنائية طريقة جديدة للنظر إلى الأنشطة الفكرية والسلوكية للمجتمع والفرد، وربط بعضها ببعض، قديمها وحديثها" (إبراهيم، 1978).

ومن هنا يلاحظ أنَّ البنيوية: "تيار فكري من صفاته التركيز على العلاقات والاختلافات، أي ما يُكوّن البنية، بعيداً عن التفسير الجوهري: الماهيوي، ويركز على المجتمع بوصفه نظاماً"، (ليشته، John Litch، 2008). وهنا نلاحظ أنَّ النظرية البنائية نسق فكري تجريدي يستند إلى استراتيجية كبرى، وهي العلاقات مما يتيح لها قراءة الأنساق المشتركة للظواهر الإنسانية والاجتماعية والربط الكوني بين منهجيات العلوم الإنسانية.

الثاني: النموذج البنائي والتحولات النصية

يصدر هذا البحث عن فكرة مفادها أنَّ النموذج البنائي يأتلف على هيئة استراتيجيات تشكل مرايا نطل على النص الأدبي من خلالها ويكشف طرق الانبناء المهيمنة على وجوه إنتاج الدلالة، ويستطلع هذا النموذج المتخيل الذهني الذي يمارس الضبط الذاتي لوضع الكلمات في المواقع التي تليق بها تحقيقاً لفرادة التشكيل. ويقارب التحولات التي تكسب البنى فرادتها انطلاقاً من تموقع خاص يحقق الملامح الجمالية المائزة، ويقرأ البنية الكلية التي تنصهر فيها آفاق النص الأدبي توخياً لأشكال التمايز وآفاق التجاوز.

ويظهر الطاقات الكامنة التي تدخرها البنى وتفرض حضورها على جسد النص الأدبي مؤلفة لذته وفتنته وتجلياته، ويقرأ الاستراتيجيات المحركة لمكونات البنية وفق أنساق تشكل أوهاج الدلالة وتفرض حضورها الساطع في بلوغ المقصد. ويبين الأصول المنهجية المسؤولة عن تحولات البنى انطلاقاً من استبطان القوانين الذهنية المتحكمة في تشكيلها وإظهاراً للمقاصد الجمالية التي جعلتها تنتظم على وجه خاص تحقيقاً لطاقاتها التعبيرية.

ويسعى النموذج لمقاربة أشكال التفاعل العضوي التي تسري في جسد النص الأدبي كشفاً عن المزايا التي يتمتع بها ويمارس من خلالها تأثيره الجمالي، ويرصد الأنساق التي يضمرها النص الأدبي وتنتج مقاصده الجمالية وفق سمات مائزة يرسمها المتخيل الذهني. ويكشف تجليات النص الأدبي من خلال المحور الدلالي الذي ينتظم عناصر النسيج النصي ويصل بين المستوى الذهني وطرائق الإنجاز اللغوي، ويؤسس هذا البحث لفكرة مفادها ألاّ يفرض النموذج على النص الأدبي، ولكن يتم اختياره في ضوء ما يريد أنْ يتكلمه النص الأدبي مراعاة للتحولات التي تطرأ على مستويات الدلالة وتحقيقاً للاستعارات التي يحيا بها هذا النص. وهكذا يحيط النموذج بالتحولات التي يحتكم إليها النص الأدبي كشفاً عن بؤر التوتر ونقاط الهيمنة التي تشكل جماليات التعبير البياني. ويتموقع النموذج في موقع متعال يتيح له استشراف المرايا المتعاكسة التي تنتظم النص الأدبي وتشكل أوهاج دلالاته المتجاوزة لعالم الغياب وجدل الاحتجاب، وهنا يتبين أنَّ: "النموذج البنائي هو النموذج اللغوي، والفكر اللغوي هو فكر متعال في الأساس، فالنماذج اللغوية موجودة باعتبار أنَّ كل نص هو محاولة للإمساك بظلالها وآثارها، ولكنَّها غير موجودة بتشخصاتها، وجودها إذن وهمي متعال، لا بذاتها، بل بالتشخصات التي تستمد وجودها منها، ويمكن أنْ نوضح ذلك بالاستشهاد بالأوزان الصرفية مثل (فعل – يفعل – فاعل – مفعول) هذه الأوزان محض افتراض لا حضور له إلا بتطبيقاته الفعلية، لكنَّه افتراض تستمد الكلمات الحقيقية وجودها الفعلي منه، ويمكن لنا أنْ نستشهد هنا بنظام العروض، إذْ ليست هناك حقائق فعلية من نوع (متفاعلن – متفاعلن – متفاعلن) بل مجرد نماذج فرضية تدخل في كل نص من بحر الكامل يحقق كيانة بها"(الغانمي، 1991).

وهذا يظهر أنَّ النموذج البنائي يستند إلى الصوغ القياسي بمنهجية تربط بين البنى وتشكيلها الذهني تجسيداً للاستراتيجيات الجمالية المعبرة عن المقصد، ويتقصى هذا النموذج العلاقات الكامنة إظهاراً لنقاط الاستقطاب ذات الإعلامية العليا، وهي التي تكسب النص الأدبي فرادته الناتجة عن مجهول البيان وأشكال تغريب النسق. والملاحظ أنّ اللغة هي المدخل الذي يقود النموذج البنائي لقراءة الاستراتيجيات التي تضئ طاقة اللغة من خلال تشكيلها للبنى على وجه يحقق أوهاج الدلالة. وبيان ذلك أنَّ: "البنائية تحاول أنْ تكشف ما تسميه البنية أو المرتبة أو الهيكل أو التصور، وتعني به وجهة النظر الثابتة أو المجموعات المتكاملة المغلقة أو العوامل المستمرة في عملية تسلسل النشاط الإنساني المضبوطة، وبهذا الشكل فإنَّ فكرة الشمول المنتظمة تبدو من المحاور الأساسية للتحليل البنائي، ومن هنا يمكن أنْ نميز في استخدام مصطلح البنية بين اتجاهين: اتجاه يطلق البنية على مجموعة مكونة من عناصر ذهنية تقدم تصورات عن الواقع، واتجاه آخر يطلق البنية على مجموعة العلاقات القائمة بين الأشياء في الواقع نفسه، فهي في الاتجاه الأول نموذج عقلي، وفي الاتجاه الآخر جوهر واقعي" (فضل، 2007).

وهذا يعني أنَّ النموذج البنائي لا يقتصر على توصيف البنية الواقعية للنص الأدبي وفق الأبعاد التي تجسمها اللغة في

حضورها المشخص بتضاريس البنية النصية، ولكنّه يتجاوز ذلك إلى نموذج ذهني تضمره طبقات البنية، وهذا يقتضي ردَّ علاقة البنية الظاهرة في النص الأدبي إلى النموذج الذهني الذي تجسده في تجليات حضورها إذْ يلاحظ أن النموذج الذهني يشكل مرجعاً تستند إليه البنية، وهو يقود البنى ويوزعها على نحو دون آخر وفق مقتضيات المتخيل الذهني.

وهنا يتبين أنَّ النموذج البنائي المعتمد على البنية التجريدية يشكل مفتاحاً لقراءة النصوص الأدبية والبيان عن أسرارها البلاغية والجمالية. ويبدو أنَّ: "مفهوم البنية يقدم لنا في تحليل الخطاب عوناً أساسياً لأمرين: أولهما: أنَّه يسعفنا في التخلص من الارتباط بالوحدات الجزئية في القول، باعتبارها مجلى العناصر البلاغية. فلا يصبح تأملنا على المستوى البلاغي محكوما عليه بأنْ يقتصر على مستوى الكلمة والجملة. ولأنَّ مفهوم البنية ذو طابع تجريدي فهو أكثر علمية وأشد قابلية للالتقاط على مستويات عديدة، إذْ تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى حتى تصل إلى النص كله باعتباره بنية.

الأمر الثاني الذي يجعل مصطلح البنية محورياً في التحليل البلاغي للخطاب هو أنَّه يكفل لنا الخروج من مأزق حقيقي لم تستطع البلاغة القديمة ولا الكلاسيكية المحدثة أنْ تتجاوزه. وهو اعتبار الأشكال زخرفاً وزينة تضاف إلى القول لتحسينه، ففكرة الزخرف اللصيق بالعبارة لازمت مفاهيم الأشكال البلاغية حتى الآن. وليس هناك سوى مصطلح البنية للتخلص نهائياً من شبهة الزينة المضافة. لأنَّه يشير إلى أصالة النموذج التعبيري في إنتاج الدلالة الأدبية وانبثاقه من طبيعة التكوين الداخلي لوحداته مما يستحيل معه إزالته دون نقض هذا التكوين ذاته" (فضل، 1992).

وهذا يبدي أنَّ النموذج البنائي يسهم في التقاط القواعد الكلية التي تحتكم إليها البنى في تموقعها داخل النسيج النصي، ويتقصى القوى المتحكمة بمنظومة العلاقات التي يستند إليها النسق في تجسيد الدلالة، ويستطلع طرق ترتيب البنى كشفاً عن الوظائف التي تؤديها لإنتاج الدلالة، وهكذا يتخطى عناصر البنية اللغوية بحثاً عن تجلياتها الجمالية وإظهاراً للاستراتيجيات المسؤولة عن تشكيل النسق على نحو مخصوص.

والمقترح الذي يبدرنا هنا أنَّ بناء النموذج يؤسس على الجامع المنهجي الذي يصل بين عدد من النصوص الأدبية، ويؤلف بنية كلية يستند إليها على أنَّها نقطة الانطلاق المنهجي، ويرصد تحولات البنية توخياً لمبادئ المشاكلة والاختلاف، وهو قادر على وعي أوهاج الدلالة التي تنتظم النصوص الأدبية وتشكل ارتفاع نسبة الإعلامية فيها، ويمكن: "الاهتداء بالنموذج التجريبي لاختبار المتغيرات اللغوية، وبيان بعض الخطوات التنظيمية لقراءة بلاغة الخطاب من منظور تجريبي؛ إذْ يتم اختيار عدد من النصوص وتجري قراءة جدولية عليها طبقاً للخطوات الآتية:

أ. انتقاء النماذج الممثلة للظروف التاريخية والأدبية المتجانسة.

ب. التعرف على المتغيرات البلاغية التي يراد اختبارها وبدائلها في النصوص.

ج. التحليل الجدولي بقراءة أفقية ورأسية للنماذج وإحصاء حالاتها.

د. تأويل النتائج وربطها بمنظور شامل يفسرها وظيفياً وجمالياً (فضل، 1992).

وهكذا فإنَّ اختبار النماذج النصية وبيان المتغيرات التي تحتكم إليها يسهم في كشف نواظم الأبنية طلباً لمنهجية تواكب الطاقات الكامنة التي تتمتع بها النصوص الأدبية، وأنَّ مقاربة المتغيرات النصية من خلال التزامن والتعاقب يظهر المزايا الجمالية المسؤولة عن قوى إنتاج الدلالة. وهكذا يتم تطوير نموذج بنائي قادر على اكتناه النص الأدبي من وجوهه المختلفة انطلاقاً من استراتيجيات تكشف المزايا الجمالية التي يتموضع حولها النسق.

ويبدو أنَّه: "يكفي نموذج واحد لشرح الظواهر كلها، وقد يحتاج الأمر إلى عدد محدود من النماذج التي نختار منها أصلحها وأوفاها، ويترتب على ذلك أنَّ البنية المناسبة هي الأبسط من غيرها إذْ تسمح لتفسير أكبر قدر من الظواهر، ويرى "ستروس" أنَّ النماذج الشعورية واللغوية قد تغطي الأبنية المقابلة لها؛ لأنَّها تفسيرات ثقافية دائماً، أما النماذج اللاشعورية فإنَّ إمكاناتها أكبر لمطابقة الظواهر المدروسة، ومن هنا فإنَّ مجموعة من الأبنية البسيطة ونماذجها اللاشعورية القابلة للتحول والتغير تكفي لشرح جميع الظواهر وتصلح كي تكون موضوعاً لنوع من التصريف الشكلي" (فضل، 2007). ويقدم ليفي ستروس الشروط التي لا بد من توافرها لوعي أسرار البنية، إذْ يرى: "أنَّ النماذج التي تستحق اسم بنية يجب أنْ تلبي شروطاً أربعة:

أولاً: تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر يستتبع تغير أحدها تغير العناصر الأخرى كلها.

ثانياً: كل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحولات التي يطابق كل منها نموذجاً من أصل واحد، إذْ يلاحظ أنَّ مجموع التحولات يشكل مجموعة من النماذج.

ثالثاً: أنَّ الخصائص المبينة أعلاه تسمح بتوقع طريقة رد فعل النموذج عند تغير أحد عناصره.

وأخيراً، يجب بناء النموذج بحيث يستطيع عمله تسويغ

جميع الوقائع الملاحظة (ستروس، Claude Levi- Strauss، 1977).

وهكذا يتحكم النموذج البنائي بالأنساق التي تهيمن على المجموع الكلي المختفي وراء المكونات المباشرة إظهاراً لطرق الانبناء الموافقة للمقاصد المراد التعبير عنها، ويستند إلى قانون شمولي يتعالى فيه الكل على البنى التي يأتلف منها، ويلتقط المتغيرات التي تحتكم إليها النصوص الأدبية كشفاً عن دلالة التجاوز الناتجة عن تحولات البنية، ويستطلع أثر المتعاليات النصية التي تكسب البنى طاقاتها التعبيرية تحقيقاً لمتعة التخفي ومرايا التجلي.

والملاحظ أنَّ تطوير النموذج البنائي يقتضي أنْ يستند إلى استراتيجيات قابلة للتطوير مواكبة للنصوص الأدبية في سيرورة تحولاتها وفق مفهومي التزامن والتعاقب، ويتطلب كون النصوص الأدبية دائمة التحول أنْ يكون النموذج البنائي دائم التطور لرصد التحولات التي تتمتع بها، وهكذا يتسنى للنموذج أنْ يواكب تفاعلاتها الثقافية واختلاف معاييرها الجمالية انطلاقاً من قراءة تشكليها على نحو خاص.

ويبدو واضحاً أنَّ ليفي ستروس يتجاوز ظاهر البنية نحو الآفاق التجريدية التي تحتكم إليها، ويتجلى ذلك بقوله: "المبدأ الأساسي هو أنَّ مفهوم البنية لا يستند إلى والواقع التجريبي بل إلى النماذج الموضوعة بمقتضى هذا الواقع" (ستروس، Clude Levi - Strauss، 1977).

وهذا يبدي أنَّ النموذج البنائي يتجاوز الواقع التجريبي الذي تحتكم إليه النصوص الأدبية سعياً لبلوغ المتخيل الذهني الذي يجمع أنساقها ويجسد تمثيلها الدلالي. ويحيط هذا النموذج بالاستراتيجيات المسؤولة عن طرق تشكيل الفاعليات البنائية التي تسري في جسد النصوص الأدبية مؤلفة فرادة تشكليها، ويتطلب تشكيل هذا النموذج أنْ ترسم العلاقات الجامعة للنصوص الأدبية وفق المراجع المسؤولة عن هويات أنساقها إظهاراً للعلاقة القائمة بين أشكالها والمتخيل الذهني الذي تجسده.

ويؤيد هذا الاتجاه أنَّ: "البنية غير الواقع التجريبي وإنَّما هي النموذج المستمد من هذا الواقع، وهكذا نتعرف على البنية انطلاقاً من نماذج معينة، وأنَّها مخفية غير مرئية، فهي باطنية لا شعورية وذات طبيعة عقلية وهي حاضرة في الموضوع، لكنها متخفية واكتشافها يقتضي تدخل العالم وتركيب نماذج تفصح عن بنية الموضوع، فغاية النماذج هي الإفصاح عن البنية وإظهارها، فهي لا تتصل بالواقع المحسوس بل بالنماذج التي ننشئها انطلاقاً من الواقع" (بغورة، 2002)

ومن هنا يبدو أنَّ بناء النموذج التجريدي يستأنف من المقايسة في سياق غياب كان حاضراً فأعيد إنتاجه، وتحول إلى نسق تجريدي مداره الانعتاق من واقع النصوص الأدبية وتشكيل المتخيل الذهني الجامع لها، ويتموقع النموذج التجريدي في تخوم ترسم مدارتها انطلاقاً من التعالي المسؤول عن توالي لحظات الإبداع في تشكيلها لجامع نصي مرصود يستدعي الشكل الكلي الذي يناسبه، فالنموذج التجريدي يؤلف شيفرة تنصهر فيها الآفاق وتكون مسؤولة عن تفسير النصوص الأدبية وفق مقتضيات المتخيل الذهني.

ويؤيد ذلك أنَّ: "النموذج التصوري ليس نموذجاً مجرداً يفرضه الناقد على المادة، كما أنَّه ليس نموذجاً حسياً، متمثلاً في المادة، مستقلاً تماماً عن الناقد المدرك له، وإنَّما هو نسق تصوري ينطوي على تجريد وحسية في آن، ويرجع إلى العلاقة بين النصوص الأدبية والناقد في الوقت نفسه، فيمثل تطويراً لصيغة هيغل عن وحدة الذات والموضوع في الفكر" (عصفور، 1998).

وهذا يكشف أنَّ النموذج البنائي المطلوب لابد أنْ يتجاوز إشكالية الذاتي والموضوعي بحثاً عن سلطة النص الأدبي والمراجع المسؤولة عن تشكيل هذه السلطة، ويؤيد هذا المنحى أنَّ: "النموذج البنائي قد قام من دي سوسير على فكرة الأنظمة التي يجمعها نظام كلي، إذْ اللغة نظام من العلاقات، وهي نظام من القيم، وهي نظام من العلاقات الداخلية والخارجية، وجاء بفكرة التمييز بين اللغة على أنَّها نظام يكشف عن كفاءة ابن اللغة، والكلام بوصفه الظواهر الفعلية أو المنطوقات، وهناك النموذج الشكلي الذي قدَّمه بلومفيد وتبنته المدرسة الأمريكية، وقد راعى هذا النموذج العلاقات القائمة بين المنظومات، ثم أدخلت فكرة الوظائف وأقسامها، ثم فكرة السياق وأنواع السياقات ثم أشكال الربط بين الوحدات والوظائف والسياقات والمقامات، ثم النموذج التحويلي في صورته الأولى لدى زليج هاريس، حيث أدخلت الاختبارات كاختبار الاستبدال واختبار التغير واختبار الحذف، وأدرجت عمليتان أساسيتان، وهما التوزيع أو التصنيف والاستبدال أو المعاقبة، ثم طرحت العملية التحويلية، وهي عملية نحوية في الأساس تتعلق بالتغير الذي يحدث للبنية النحوية، وتقدم تشومسكي في كتاب (التراكيب النحوية) بنموذج مبسط للنحو التحويلي ابتداء، إذْ ذهب إلى أنَّ القواعد النحوية لأية لغة ينبغي أنْ تولد جميع الجمل في هذه اللغة (بحيري، 1997).

وهكذا يلاحظ أنَّ تشكل النموذج البنائي يتم من خلال قراءة النصوص الأدبية بذاتها ولذاتها وفق مفهوم سوسير، فاللغة هي المدخل المطروح لقراءة الأنساق والتجليات الدلالية بحثاً عن تشكيلها وصهر آفاقها في الشكل البنائي الذي تنتمي إليه

انطلاقاً من نظام الانظمة، ويشكل السياق العضوي البنية الدلالية الكبرى التي تأتلف فيها العناصر وتبلغ أقصى تجلياتها من خلال تموقعها في المواقع التي تليق بها تحقيقاً للتماسك النصي.

ويؤلف النموذج التحويلي منهجية للبحث عن قواعد البنية العميقة المسؤولة عن التفسير الدلالي والبيان عن قواعد القواعد التي تنتج البنى اللغوية وتجعلها تأتلف على نحو خاص، ويرصد النموذج التحويلي عناصر التحويل المتجسدة (بالرتبة والحذف والتنغيم) كشفاً عن تحولات البنية وطرائق تجسيدها الدلالي وينطلق من مغايرة الأصل نحو تحولات النسق. وهنا تظهر أهمية اللغة في تشكيل النموذج البنائي الذي يستمد أوهاجه عند "بارت" من المادة اللغوية التي ينتمي إليها في تشكيل أنساقه. وبيان ذلك أنَّه: "إذا كان الشكل كائناً لغوياً، فيه يجد النموذج أصله وفرادته، فمن البدهي أنْ يبحث له بارت عن واحد من المناهج يكون الأكثر التصاقاً به ونفاذاً إلى كينونته، أو يكون، من حيث هو منهج، مستلاً في توجهه وطريقة عمله من المادة اللغوية نفسها التي يتكون الشكل منها، ومن أجل تحقيق ما يروم هدفاً، فقد اختار البنيوية منطلقاً إجرائياً يعمل من خلاله" (بارت، Rol and Barthes، 1993).

والملاحظ أنَّ "بارت" يؤسس النموذج البنائي انطلاقاً من العناصر اللغوية المهيمنة على ذاكرة النص الأدبي والمجسدة لتضاريسه لحظة مكاشفته وتشكيله على نحو دون آخر، وأنَّ قراءة الوجه البنائي هي المدخل المطروح لوعي طرق تكوين الدلالة في تموضع يجسد سطوة الإبداع من خلال لذة النص. وهكذا يقارب النموذج البارتي رحلة المعنى من خلال احتمالات تقودها لغة النص الأدبي في تأزمها بطريقة تؤرق القارئ وتستفزه لوعي طاقاتها وغموضها ومرجعياتها المهيمنة على كثافة الرؤيا.

ويعتمد النموذج البارتي على التصنيف والتنظيم في تأسيس النموذج البنائي مما يفضي إلى رصد الأشكال المسؤولة عن تموضع البنى في هيكل خاص يتنظم فرادة تشكيلها ويتجلى ذلك عند بارت في بيانه أنَّ: "البنيوية تجد نفسها بوصفها علماً في كل مستويات النص الأدبي ولا سيما الأشكال التي تتخذها المضامين في طرائق تعبيرها، وعلة ذلك أنَّها تقرأ لغة الحكايات المروية، ومفاصلها، ووحدتها والمنطلق الذي يحكم نسيجها، وأما على مستوى أشكال النص الأدبي فإنَّ البنائية تركز انتباهاً خاصاً على التصنيفات والأنظمة والترتيب وأنَّ التصنيف يشكل هدفها الجوهري أو نموذجها التوزيعي الذي ينتظم كل عمل أدبي، وهكذا فإنَّ النص الأدبي يؤسس على أشكال من التنظيم وأنَّ هذا التنظيم ليعد تصنيفاً" (بارت، Roland Barthes، 1999).

ويبدو أنَّ طرح بارت يكشف الهيكل التنظيمي الذي تتحرك فيه البنى ويستطلع الشيفرات التي تنظم الأنساق النصية وفق نظم دلالي يكسب هذه البنى وظائفها في تشكيل المجموع الكلي، فالنموذج البنائي يحيط بوجوه الانتظام المسؤولة عن البنية الدلالية الكبرى التي تستوعب القوى المهيمنة على تضاريس النص الأدبي، ويكشف "غريماس" العلاقة بين النموذج الشكلي والمستويات الدلالية التي تتلاقى عليها البنى في ميدان الفعل الأقوى المتحكم بنظام الأنظمة.

فلا بد أن: "يفهم من البنية الدلالية أنها الشكل العام لنظام العوالم الدلالية المعطى، أو الممكن، والسؤال عما إذا كانت البنية الدلالية ماثلة في عالم الدلالة أو تحضن هذا العالم أو إذا ما كانت من صنع ألسني للتعبير عن العالم المعطى لا يُعدُّ سؤالاً في محله، فعالم الدلالة سيجد نفسه مضطراً لتطوير نظرية تساعده في بناء نماذج شكلية تتطابق مع البنية الدلالية الموجودة قبلاً وتطوير نظرية ما بعد أبستمولوجية ممكنة من تقييم مناسبة هذه النماذج للعوالم الدلالية قيد التحليل" (غريماس، Greimas، 1982).

وهذا يظهر أنَّ النموذج عند "غريماس" يعيد إنتاج دلالة العالم النصي من خلال رصد العلاقة بين المتخيل الذهني والإنجاز اللغوي الذي يمثله، ويقارب العلاقات الكامنة وراء البنى بلوغاً للتجليات التي يتموضع حولها النسق. ومن المبادئ الملتزمة في هذا السياق أنَّ: "ما تسعى إليه البنيوية هو بناء معرفة علمية بالظواهر الإنسانية محل الدراسة، ومن ثم فهي مشغولة بالبحث عن (مظاهر الثبات والاستقرار فيها). ومن هنا فالباحث البنيوي يسعى إلى اكتشاف النظام الكامن وراء الفوضى البادية، وبذلك يتم بيان القانون الذي تحتكم له هذه الظواهر أو الأحداث أو الأشياء التي تعمل طبقاً له رغم اختلافها، إنَّه يترصد تلك العلاقات الباطنة التي تنبع من داخل الظواهر نفسها وتحركها وتضمن لها البقاء والاستمرار والتجدد" (إبراهيم، 1997). ومن الملاحظ أنَّ النقد البنائي يرصد المنظومات المهيمنة على سيرورة البنى انطلاقاً من فكرة مؤداها أنَّ الكل يتعالى على الأجزاء التي يأتلف منها. وهنا تتضح أهمية النظريات البنائية في حفريات المعرفة كشفاً للأنساق الثاوية وراء المعطى المباشر، وتقودها في ذلك مقولة مفادها أنَّ البنية السطية لا تعنى كل شيء في النص الأدبي، ولا بد أنْ نستبطن البنى العميقة استشرافاً للأنساق الكامنة المسؤولة عن القواعد الكلية، ويتجلى هذا المعنى فيما تقدمه النظريات البنائية من طرح: "يسعى إلى اكتشاف الثغرات

والقواعد والأنساق الكامنة وراء كل الممارسات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، وهو طموح يماثل بين نماذج السعي البنيوي ونماذج السعي المعروض في مجالات الأركيولوجيا والجيولوجيا، حيث يغدو ما نراه على السطح مجرد آثار لتاريخ أعمق (سلدن، Raman Selden، 1991) ويشكل هذا الطرح دعوة لقراءة المستويات التكوينية التي يتأسس عليها النص الأدبي تحقيقاً للدلالة الفعلية المسؤولة عن إحكام البنية ووضع الألفاظ في المواضع الأشكل بها تحقيقاً للمقصد المراد. ويترتب على هذا الطرح الانتباه إلى مفاهيم التأجيل والفراغ المعرفي والتمنع التي يدخرها النص الأدبي في تشكيل أدبيته وفق وشائج تمتح من المحو مجهول بيانها. وهكذا فإنَّ التقاط الأنساق الكلية يعتمد على العلاقة القائمة بين الحضور وعناصر الغياب الكامنة في الوجه المرصود، وأنَّ النقد البنائي يفصح عن تجليات البنية العميقة المتجسدة على هيئة إنجاز لغوي.

الثالث: استراتيجيات القراءة البنائية ومقاربة النص الأدبي

تقارب النظرية البنائية النص الأدبي من خلال القوى الداخلية التي يحتكم إليها وتؤلف نقاط سلطته ولذاته وفتنته وتكون مسؤولة عن فرادة تشكيله وطرق إنتاجه للمعنى، وتتولى البيان عن الأشكال التي تتموقع فيها البنى إظهاراً للأساليب التي تكسبها سماتها التأثيرية ممّا يشكل ضغطاً أسلوبياً على المتلقى، وتروم القراءة البنائية استطلاع النسق المهيمن على تموقع البنى توخياً للتحولات المائزة وتحقيقاً لدينامية النص الأدبي وتجليات انساقه. وتؤسس هذه القراءة لتوظيف بنيات النص الأدبي ورصد قوى المغايرة التي تضئ طاقة اللغة وتوقد تأثيرها الجمالي في نفس المتلقي، وتظهر الوسائل اللغوية التي تكسب النص الأدبي أدبيته، وتسهم في كسر إطارة الدلالي مما ينتج غايته الجمالية.

وتعتمد: "الفاعلية البنيوية على عمليتين نمطيتين: التشريح والإفصاح وأنْ تشرح الشيء الموجود الأول، ذلك الذي يمنح نفسه لفاعلية المَصْوَرَة هو أنْ تجد فيه شذرات متحركة معينة يولّد موقعها التمايزي معنى معينا، والشذرة لا تمتلك معنى في ذاتها لكنَّها رغم ذلك مكونة بحيث أنَّ أدنى درجات التنويع المنسوجة في تشخصها تؤدي إلى تغير في الكل" (بارت، Roland Barthes، 1981).

وهذا يعني أنَّ النظرية البنائية تسعى إلى قراءة النص الأدبي انطلاقاً من فاعليتي التشريح والإفصاح، وأنَّ التشريح مداره اقتطاع البنى وسبر أغوارها الدلالية وبيان الظلال التي ترصدها من خلال قوانينها الذاتية والتحولات التي تطرأ عليها، ويتجلى دور الإفصاح بربط البنى في علاقاتها النصية إظهاراً لوظائفها وكشفاً عن فرادة تشكيلها في نسق يتعالى عليها، ويبدو أنَّ الإفصاح يرتكز على قاعدة الترابط التي تؤلف المنطلق الأساسي في تموقع البنى في مواقعها تحقيقاً لجماليات التعبير البياني، وتتجلى قاعدة الترابط في النظرية البنائية من خلال استراتيجية العلاقات التي تشكل مرتكزاً ينظم البنى ويسهم في تشكيلها على وجه خاص تحقيقاً للمقصد المراد منها.

ومن هنا فإنَّ النظرية البنائية: "تعتمد على تقنية مفادها إعادة بناء الشيء لإبراز وظائفه من خلال عمليتين أساسيتين هما الاقتطاع والتركيب، أي اقتطاع الأجزاء الدالة للشيء للكشف عن كيفية قيامها بوظائفها ومدى تأثيرها في الكل، ثم تركيب هذه الأجزاء بعد اكتشاف قوانين حركتها في كل عضوي، وتحليل القواعد المتصلة بإيحاءاتها وأنظمتها المختلفة" (فضل: 2007). وبيان ذلك أنَّ النظرية البنائية تستند إلى جدلية الاقتطاع والتركيب ممّا يظهر طرق تنظيم هذه البنى والبيان عن وظائفها المسؤولة عن تجسيد دلالة النص الأدبي وتجلياته، وترتاد هذه النظرية البعد التكويني المنظم للبنى في دينامية مدارها النسق المهيمن على وجوه إنتاج الدلالة.

ومن المقرر أنَّ: "الأمر الجوهري وراء المنهج البنيوي هو إعادة التركيب والبناء بعد الكشف عن آليات الحركة داخل النظام، وما يميز النشاط البنيوي لحظتان: لحظة "الهدم" وهي عملية تقنية بالغة الخطورة في سبر المكونات، ولحظة "البناء" تتسم بالإبداعية؛ لأنَّها تقتصر على العناصر الدالة على حقيقة الموضوع، فتشكل قابليات لفهم أي شيء وصورة ذهنية. فالتحليل البنيوي وقوف على تفاعل الدلالات فيما بينها داخل العمل الأدبي وتعدد وجوهها. وهو ما يحتم تعدد القراءات التي تعدد النص الواحد وتجدده، لأنَّ لحظة التحليل في العمل الأدبي ليست هي الواقع المعطى، بل واقعاً متخيلاً، أي بنيوياً في أساسه، ولحظة التركيب فعل بنيوي يحاكي الفعل الأول ولا يكرره مما يسمح بتعدد الواقع (معطى، متخيل، مركب) وهي حالات إداركية يفرزها النشاط البنيوي ويغنيها من خلال الاستعراض الموضوعي لها" (مؤنسي، 2000)

وهنا تتحرك النظرية البنائية من منظور منهجي يعيد الأنساق إلى بنياتها الدلالية الصغرى إظهاراً لفاعليتها التي تمنح كل بنية قيمتها التأثيرية، وتتصدى للبحث عن المزايا الجمالية في ضوء الكل الذي تنصهر فيه عناصر البنية كشفاً عن الأنساق العميقة التي تنتمي إليها، وتتقصى مبادئ الانتظام الثاوية وراء البنى إظهاراً للوسائل التأثيرية التي تكسبها طاقتها الكامنة في تشكيل أوهاج الدلالة. وتتجلى فكرة استقلال البنية بعزلها عما يحيط بها بما يعرف بالقراءة الداخلية، وهي المدخل

المطروح لقراءة النص الأدبي، وتفرض طرق التطبيق الإجرائي للنظرية البنائية مطلباً مؤداه أنَّ: "أول خطوة في المنهج البنيوي هي تحديد البنية أو النظر إلى موضوع البحث على أنَّه بنية، أي موضوع مستقل، إنَّ دراسة هذه البنية: المجتمع أو النص أو مجموعة النصوص، يشترط عزلها حتى عن مجالها الذي هو بالنسبة لها خارج. (العيد، 1985).

وهنا يتبّين أنَّ الخطوة الأولى عند البنائيين أنْ يقرأ النص الأدبي بمعزل عن مراجعة والمحيط الاجتماعي الذي ولد فيه. وأنْ يقارب مقاربة داخلية تظهر أنماط الفرادة في تشكيله لتضاريس البنية على نحو خاص، وتحقق للنظرية البنائية امتلاك الأدوات القادرة على رصد مجموعة القوانين الكامنة وراء عناصر التشكيل النصي بلوغاً للوجوه الدلالية الكبرى التي تنصهر فيها آفاق النص وتجلياته. وتعلى هذه النظرية من قيمة المنظومة النصية على العناصر التي تآتلف منها وفق استراتيجية العلاقات المسؤولة عن نظم البنى وطرق تشكيلها.

ويلاحظ أنَّ: "مهمة الناقد البنائي هي التركيز على الجوهر الداخلي للنص أو بنيته العميقة، وهي التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً. هذه البنية العميقة يمكن الكشف عنها من خلال التحليل المنهجي المنظم" (ماضي، 1997).

وهكذا فإنَّ البنيوية: "مذهب علمي يستند إلى وضعية عقلانية يريد توضيح الوقائع الاجتماعية، والإنسانية، بتحليلها، وإعادة تركيبها، وشرحها على هدي التصميم الداخلي الذي تخضع له، ألا وهو: البنية" (ذريل، 1980) وترتكز: "البنية على المسلمة القائة: إنَّ البنية تلتقي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها" (بياجيه، Jean Piaget، 1971). ومن المقرر أنَّ النظرية البنائية: "تبدأ من النص وتنتهي به، وكأنَّه غاية نهائية بحد ذاته. وانطلقت البنائية من إيمان عميق بأنَّ النص يكشف عن بنية محددة وعن نسق أو مجموعة أنساق وأنظمة محددة. وأنَّ وظيفة القارئ تتثمل في الكشف عن شيفرة النص وأنساقه المختلفة" (ثامر، 1994). وهنا نجد أنَّ: "دور القارئ في المنهج البنيوي خاضع كلياً لسلطة النص ذاته، فنوايا القارئ وأفكاره وخبرته، وكذلك نوايا مبدع النص ذاته لا قيمة لها. والقراءة الإبداعية هي القراءة التي تسعى للكشف عن المكونات البنيوية والأنساق الداخلية للنص الأدبي" (ثامر، 1994). وهذا يكشف أنَّ النظرية البنائية تعاين الأنساق الناظمة للبنى اللغوية والمسؤولة عن طرق تشكيلها في سياق التوظيف الجمالي الذي تقتضيه قواعد النظم.

وتعتمد: "النظرية البنائية في دراسة الأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناء متكاملاً وبعيداً عن أي عوالم، أي أنَّ أصحاب هذا المنهج يعكفون من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التي تحرك العمل الأدبي" (إبراهيم، 1998).

وهذا يعني أنَّ النظرية البنائية ترصد الوحدات الوظيفية المهيمنة على النص الأدبي للتعرف على طرق نظمها تحقيقاً لفاعلية دلالية تقودها التحولات نحو التجلي والتأثير، وتستطلع المفاتيح البنائية التي توجه البنى وتشخص مناطق تأثيرها بحثاً عن طرق توظيفها للقيم التعبيرية على وجه من التمايز الجمالي، وتظهر الاستراتيجيات البنائية التي تصوغ هوية البنى وتشكل أنساقها الكامنة وتعين طرق تعبيرها عن المقصد.

وتصدر النظرية البنائية في قراءة النص الأدبي عن فكرة جوهرية نصها: "أنَّ الأدب له بنية عامة وثابتة في كل الأزمان وكل العصور ويخضع لنظام واحد أو لنمط واحد مهما أصابه من متغيرات لا تمس جوهره (أدبيته، بنيته) والبنيوي عندما يحلل عملاً مفرداً فلكي يؤكد من خلاله فكرة النمط الواحد أو البنية العامة، فالعمل الأدبي ينطوي على بنية لا زمنية (ثابتة ومغلقة) وعلى بعد تاريخي متغير، والبنيوية تهتم بالثابت الجوهري ولا تهتم بالمتغيرات، وهكذا فإنَّ مهمة المحلل تبدأ وتنتهي باستخلاص البنية العامة مع إغفال للمتغيرات والتنوع، لهذا تبدو مهمة البنيوية مهمة وصفية تحليلية خالصة" (ماضي، 2011).

وتظهر هذه النظرة لمفهوم النظرية البنائية أنَّ استخلاص البنية العامة للأدب فكرة يقودها النسق الكلي المهيمن على أدبية الأدب وأنَّ استنباط الأنساق التي تحتكم إليها فاعلية الرؤيا في تشكيل النص الأدبي تبدأ منه وتنتهي به، ويبدو أنَّ مقاربة النسق الكلي تقتضي قراءة النصوص الأدبية استشرافاً للملامح المائزة وكشفاً عن تجليات النسق من خلال مرموزها التكويني، وهكذا يكون النسق الكلي متجاوزاً النصوص الأدبية في تزامنها وتعاقبها وفق منهج يجمع مخيالها الناظم لمقاصدها الجمالية. ويؤيد هذا المنحى في البحث عن النسق الكلي أنَّ: "النظرية البنائية تستند في قراءة النص الأدبي إلى الأبعاد الآتية:

1. تسعى البنيوية إلى استكشاف البنى الداخلية اللاشعورية للظاهرة.
2. تعالج العناصر بناء على (علاقاتها) وليس على أنَّها وحدات مستقلة.
3. تركز البنيوية دائماً على الأنظمة.
4. تسعى إلى إقامة قواعد عامة عن طريق الاستنتاج أو الاستقراء وذلك لتؤسس الخاصية المطلقة لهذه القواعد" (الغذامي، 1985).

وهكذا تؤسس النظرية البنائية للإبانة عن طرق انتظام العناصر النصية في إطار نسق عام يكشف كل عنصر ودوره الوظيفي، وهذا يقود إلى إظهار الاستراتيجيات الموجهة للنص الأدبي في سيرورة تشكيله تحقيقاً للمقاصد الجمالية. وتظهر هذه النظرية أهمية الانتقال من الجزء إلى الكل إظهاراً للطاقة التعبيرية التي تختزنها البنى وكشفاً عن فاعليتها في تكوين النسق.

وقد تجلى مفهوم البنية في قراءة النصوص الأدبية: "وفق الأبعاد الآتية:

المبدأ الأول: إنَّ الأعمال الأدبية برمتها تمثل ابنية كلية؛ لأن دلالتها في الدرجة الأولى ترتبط بهذا الطابع الكلي لها. هذا التصور الكلي للأبنية واعتبار البنى الجزئية ليست من الأجزاء المادية المحسوسة هو جوهر النظرية البنيوية، فالقصيدة لا تصبح مجرد مجموعة من الأبيات، نعاملها في الظاهر على أنَّها محصلة لهذه الأبيات، يعني ذلك أنَّ القصيدة لا تبنى من أبيات كما توحى النظرة السطحية المتعجلة بل تبنى من مستويات – وهي التي يمكن تقسيم العمل الأدبي إليها – تخترق هذه الأجزاء وتتغلغل فيها وتشتبك معها، ويمكن أنْ ندرك من ذلك أنَّ البنية الدلالية للقصيدة الشعرية مثلاً هي محصلة مجموعة من البنى المتمثلة في البنية الإيقاعية والبنية التركيبية والتعبيرية والبنية التخييلية التي تصل إلى ذروتها في المستوى الرمزي الكلي.

المبدأ الثاني: يظل هدف البنيوية هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية، ودراسة علائقها وتراتبها والعناصر المهيمنة، وكيفية تولدها وكيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية على وجه مخصوص. (فضل، 2005).

وهذا يكشف أنَّ النظرية البنائية تقرأ النصوص الأدبية انطلاقاً من القوانين الموضوعية التي تحتكم إليها في تشكيل دلالاتها ومقاصدها الجمالية. وترصد النظام الكامن وراء البنى بغية بيان الشيفرات المسؤولة عن تشكل النسق. وتستطلع قواعد التنظيم التي تحتكم إليها البنى إظهاراً للوظائف المهيمنة على فرادة التعبير. وهنا تتجلى البنية على أنَّها العنصر الحاسم في قراءة النص الأدبي إذْ تبسط نفوذها على تشكيلة وتؤلف مفتاحاً للتعرف على الطرق التي يمارس فيها النص تكوثره البياني المؤسس على مظاهر التفرد.

وهنا يلاحظ أنَّ: "القبض على بنية النص هو المدخل الضروري لأي عملية درس منهجي له، وشرطها الذي لا يمكنها القفز عنه، وهذا سعي إلى إبراز التشكيل النظمي الخاص الذي تتخذه هذه البنية في النص. ويبدو أنَّ بنية النص وحدها إذن هي التي تؤمن من جهة أساس معرفته الحقيقية، وتضمن من جهة ثانية قياساً مرجعياً في عملية البحث المركبة في جماليته الإبداعية كما في دلالاته المختلفة (سويدان، 1981).

وهكذا فإنَّ البنية تشكل استراتيجية لرصد المضمرات الثاوية وراء العناصر اللغوية إظهاراً لما تختزنه من دلالات في وجدانها اللغوي، فهي نقطة الانطلاق في بيان السمات الإبداعية التي يحتكم إليها النص الأدبي في تشكيل مقاصده الجمالية.

وتتصدى البنائية إلى: "اكتناه جدلية الخفاء والتجلي وأسرار البنية العميقة وتحولاتها – طموحا لا إلى فهم عدد محدد من النصوص أو الظواهر في الشعر والوجود –، بل إلى أبعد من ذلك بكثير، إلى تغيير الفكر العربي في معاينته للثقافة والإنسان والشعر" (أبو ديب، 1984). ويلاحظ أنَّ: "دراسة بناء القصيدة وفق المنهج البنائي هي دراسة تركيب النص بما يتضمنه من عناصر صوتية ودلالية لاكتشاف العلاقات الرابطة بينها. وهذه الدراسة لا يمكن أنْ تتم إلا عن طريق التحليل" (الزبيدي، 1989).

ويشكل هذا الفهم للنظرية البنائية وعياً مفاده أنَّها تسعى إلى بيان شبكة العلاقات العميقة التي يقام عليها النص الأدبي اقتناصاً للملاحظ المائزة والفرادة الكامنة وراء نظام الأنظمة. وتقارب هذه النظرية النص الأدبي مقاربة داخلية تتخطى تضاريس البنية السطية نحو البنية العميقة التي تحتكم إليها، وتصدر عن فكرة مؤداها استشراف القوانين الداخلية للنص الأدبي استطلاعاً للطاقات التعبيرية الكامنة بين عوالم التخفي ومرايا التجلي.

وتقارب القصيدة وفق المنهج البنائي وهو: "منهج في الاكتناه يرى البنية هي وسيلة الدلالة وديناميه تجسيدها في سلسلة من المكونات الجذرية والعمليات المتصلة، وتتجلى هذه البنية في شبكة من التفاعلات التي تتكامل لتحول اللغة إلى بنية معقدة تجسد البنية الدلالية تجسيداً مطلقاً في اكتمالها، وفي هذا التجسيد للرؤيا الشعرية ينبع وجود كل عنصر ومعناه وخصائصه من طبيعة العلاقات التي فرضت اختياره وفاعليته في هذه العناصر. وتختفي تحت هذه التفاعلية جدلية عميقة هي التي تؤسس المعنى: ذلك أنَّ العلاقات بين الثنائيات قد تكون علاقات نفي سلبي وتضاد مطلق، وقد تكون علاقات توسط تهدف إلى إعادة الإبداع عبر التحول والتحويل، وقد تكون علاقات تكامل وتناغم" (أبو ديب، 1979).

وهنا يتضح أنَّ البنية الدلالية تمثل معياراً للإبانة عن المزايا الجمالية في ضوء النسق الكلي المسؤول عن تجليات النص

الكامنة وراء المعطي المباشر، وتعاين النظرية البنائية النص الأدبي من خلال علاقات المشاكلة والاختلاف وعياً للبنية العميقة المهيمنة على قوى إنتاج الدلالة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ النظرية البنائية تركز على: "تأثير الدوال: أي العناصر ذات الدلالة التي تقوم بترحيل المعنى أو إرجائه أو تعليقه من خلال المادة الفنية التي تتجاوز معنى الألفاظ، مثل الإيقاع في الشعر والقافية والأنماط الصوتية، ويعزو نقاد البنيوية إلى حركة هذه العناصر ما يسمونه إنتاجية النص" (الكومي، 2004).

وهذا يظهر أنَّ النظرية البنائية تتقصى المداخل الدلالية التي تثير انتباه القارئ وتمارس عليه ضغطاً أسلوبياً من خلال سطوتها المؤلفة لسلطة النص الأدبي، وتلتقط الإشارات التي تضاعف دلالاتها وفق لعبة تشكيل يقودها المخيال الذهني نحو المعنى المؤجل والوجه المرصود، وهنا يبدرنا تأجيل المعنى بطريقة تخفي الدلالة عن التخوم وتذهب بها نحو فائض دلالي يختفي ليتجلى، فالنص الأدبي يؤجل المعنى ويضمر دينامية تقودها أوهاج الدلالة بشوق معرفي مداره المسافة الجمالية المتجسدة بلذة اقتناص المعنى وفتنته.

وتصدر النظرية البنائية في قراءة النص الأدبي عن: "المنطلقات الآتية:

1. تحديد أبنية الدلالة الأولية.
2. تقسيم الوحدات الكبيرة إلى أبنيتها الدلالية الصغرى.
3. تحديد مستويات ومحاول المقال.
4. الوصول إلى النماذج التي ينتظم طبقا لها" (فضل، 1987)

فهذا بيان للمنطلقات التي تقرأ النظرية البنائية من خلالها النص الأدبي، وتقدم وعياً حاداً لاكتناه الاستراتيجيات التي تنتظمه على الوجه الذي يقتضيه المقصد، وتركز على أهمية قراءة عناصر البنية وفق النسق (النموذج) الذي يشكل منهجية تبيّن وجوه الانتظام النصي المؤسس على قواعد الدلالة، وتشكل هيكلة للمكونات وتظهر المستويات الذهنية المسؤولة عن إنتاجها على نحو خاص، وتتجلى هذه المنطلقات في قراءة شذرات البنية بحثاً عن النسق الناظم والمسؤول عن العصف الدلالي وجماليات التكوين.

ويوافي هذا الاتجاه (كريماس، Greimas) إذْ يقرر: "أنَّ نظرية الخطاب الشعري يتم تناولها من ثلاث تأويلات:

1. إن المفارقات الدلالية هي التي تميز خصوصية النصوص الأدبية، ونجد عند (فان ديك Van. dyke) آثار بعض المفاهيم كالمعيار أو النموذج والنص القياسي حيث يعد النص القياسي إطاراً مرجعياً للنص الشعري.
2. معارض للسابق ويتميز موقفه بمفهوم اللغة الشعرية التي تعد ناتجة عن إسقاط مظاهر غير لغوية على لغة الخطاب المتداولة، وهنا ترى (جوليا كرستيفا Julia Kristeva) أنَّ هذه المظاهر المسقطة تؤدي إلى تغيير بنيات لغة التواصل وتفجيرها.
3. المفارقة في إطار التفكير البنيوي في اللغة، ومفاد هذه النظرة عند (جاكبسون Roman Jakobson) أنَّ تنظيم الفروق المميزة يمكن أنْ تتخذ صفة محور للنماذج وأنَّ إسقاط تنظيمات النماذج على السياق التركيبي أو المحور التركيبي للغة يحدد خصوصية الخطاب الشعري" (بودرع، 1988)

ويتبين من ذلك أنَّ (كريماس Greimas) يؤسس لقراءة الخطاب الشعري انطلاقاً من تحولات البنية وكسر الإطار الدلالي وتجاوز العلاقات المألوفة مما يضاعف التأثير بلوغا لأقصى تجليات البيان. ويتم توظيف العناصر اللغوية بطريقة يقودها الاختلاف الذي يجاوز النمط المعياري نحو وجه آخر يستقطب لهذه العناصر هوية تموقعها المائزة ويضاعف سطوة تأثيرها، وتحقق المفارقة الدلالية وجهاً استثنائياً يموضع الإثارة في جسد النص الأدبي توخياً للذة النص وفتنته وتجلياته.

الرابع: مقاربة بنائيّة لمقاطع من جدارية محمود درويش

تصدر جدارية درويش في تشكيل الرؤية عن ثنائية ضدية تنتظم في حركتين بنائيتين متناقضتين:

الأولى: الموت والغياب والانكسار واليأس والضياع والتنشظي والأسى والاغتراب والتشريد والوجع والفقد ومدارات الرعب والأسى.

الثانية: الحياة والحضور والهوية والبياض والانتصار والأمل والوجود والخلود والاستمرارية والتجدد والخصب واللون الأخضر وقوة الإرادة والتحدي والثقة بالحلم وتحقيقه بالمستقبل. وتتجلى هذه الثنائية في المقطع الأول من الجدارية الذي جاء على النحو الآتي:

هذا هو اسمك
قالت امرأة
وغابت في الممر اللولبي (درويش، 2001)

يقام هذا المقطع على ثنائية ضدية مدارها الحضور والغياب، ويبدأ ببنية مهيمنة نصها "هذا هو اسمك" إذْ يشكل "الاسم" الهوية التي تتموقع فيها القصيدة، وهو عتبة جدارية صلبة وقلعة حصينة يلوذ بها الشاعر، وهذه البنية هي وحدة دلالية كبرى تنصهر فيها دلالات الحضور وتحقق تجليات الهوية في زمن الهويات القائلة، والاسم هو الروح المؤنسة للشاعر في معراجه نحو عالم آخر وطفولة مختلفة يحلم بها،

فهو مفتاح بنائي يؤكد أوهاج القصيدة بالحضور مواجهة للغياب الذي يشكل عتبة العبور نحو الموت، فالاسم نقش على جدار الزمن لتبقى الهوية خالدة في مواجهة التشريد والتشطي والاغترابِ والموت وتأكيد وجود الذات في مواجهة التحديات. وهكذا يتبين أنّ الوحدة البنائية "هذا هو اسمك" مركز بنائي يجسد صوت الهوية التي تتربع على عرش الحضور في عالم يغرق في الغياب والرحيل والموت، ويأتي هذا الصوت وهو صوت امرأة مجهولة "قالت امرأة" ليفرض نفسه ويحقق كينونته خاصة تعني الوجود المقاوم للرحيل. وهنا يلاحظ أنَّ "الاسم" هو النسق التصوري الذي تراهن عليه الجدارية على أنّه القوة القادمة لإنقاذ المشهد من الموت إذْ يشكل عتبة ساطعة من عتبات الخلود القادر على تجاوز اليأس وتحقيق الوجود وتجسيد الهوية. ويؤلف دينامية ضدية تقف في وجه الغياب والضياع والتشريد والنشطي ويمتلك فائضاً دلالياً مداره إيقاع الذات في تجاوز التحديات.

والملاحظ أنّ تركيز الجدارية على تكرار "الاسم" في سياقات متنوعة يظهر أنَّه يشكل الذاكرة التي تمتح منها الجدارية طاقتها المتجددة في عالم متغير، وقد جاءت هذه السياقات على النحو الآتي:

"هذا هو اسمك
احفظ اسمك جيداً
لا شيء يبقى سوى اسمي المذهب
يا اسمي سوف تكبر حين أكبر
سوف تحملني وأحملك
يا اسمي أين نحن الآن؟" (درويش، 2001)

فتكرار "الاسم" في هذه السياقات هو رصيد الجدارية المتوهج، وأملها الذي يضيء عتبات الحياة في أشد لحظات الاغتراب، ويؤنس الشاعر في رحلته ووحدته عندما يعاني من الغربة. ويقابل هذا الحضور مشهد غياب امرأة تقدم قولها عليها:

"هذا هو اسمك
قالت امرأة
وغابت في الممر اللولبي" (درويش، 2001)

إذْ يلاحظ أنَّ "امرأة" جاءت نكرة وغابت في الخفاء وشكلت قلقاً معرفياً بسبب اختفائها وهو اختفاء لا يقود إلى التجلي؛ لأنها تغرق في "الممر اللولبي" الذي يقوده التية فلا يشي يوميض لظهورها. وتقام الجدارية على اللون الأبيض النابض بالرؤية الصافية المستمدة من السماء في أقصى تجلياتها، ويتماهي الواقع بالحلم ويتجلى الوجود من خلال العدم، وتأتي رحلة الشاعر على جناح حمامة بيضاء إلى السماء، وتشكل نقطة تحول وتصبح السماء في متناول الأيدي:

"أَرى السماءَ هُنَاكَ في مُتَناوَلِ الأَيدي
ويحملُني جناحُ حمامةٍ بيضاءَ صَوْبَ
طُفُولَةٍ أُخرى، ولم أَحلُمْ بأني
كنتُ أَحلُمُ. كُلُّ شيء واقعيٌّ كُنْتُ
أَعلَمُ أَنني أُلْقي بنفسي جانباً...
وأَطيرُ سوف أكونُ ما سأَصيرُ في الفلك الأخير" (درويش، 2001)

وهنا يتضح أنَّ الرحلة التي تبدأ لها مقتضياتها وأولها: "ألقي بنفسي جانباً" فالمعراج تتجلى فيه الروح وتبلغ أقاصيها وتلقي بالجسد جانباً تحقيقاً للحلم الذي يسافر على جناح حمامة بيضاء نحو طفولة مختلفة.

وهكذا تبدأ رحلة الشاعر بتجاوز الواقع المادي نحو عالم أبدي غامض يستقطب أبعاد الروية ويتمرد على الواقع متجهاً نحو عالم آخر وطفولة مختلفة، ويسعى إلى تجسيد حياة تتصف بقوة الإرادة وتستشرف المستقبل من خلال إعادة إنتاج الرؤية. ويتجلى تحقيق هذا المشهد المشرق من خلال التحدي للموت وتجاوز الزمان والمكان والتمرد عليهما، وتحقق الذات هويتها وتتعالى على مصيرها الفاجع برحلة تفارق فيها الروح الجسد توخياً لرؤية جدارية تواجه فيها الذات كل التحديات. وتجسد الجدارية الصراع بين الحياة والموت ويشكل البياض الجدار الذي تلوذ به للتغلب على الموت وتحقيق الانتصار إذْ يؤلف اللون الأبيض بنية كبرى تنصهر فيها كل الدلالات وتتوهج في عالم مظلم. وتخترق الجدارية حركة الزمن لتوقفها وترقم عليها نقشاً خاصّاً يخلد معراج "درويش" الروحي على جناح حمامة بيضاء ليشكل من عالم البياض شيفرة تنبثق منها فضاءات لا تنتهي وعندئذ يصبح:

"كل شيء أبيض،
البحر المعلقُ فوق سقف غمامة
بيضاء. واللاشيء أبيض في
سماء المطلق البيضاءِ. كنتُ، ولم
أكنْ. فأنا وحيدٌ في نواحي هذه
الأبدية البيضاء. " (درويش، 2001)

ويبدو أنَّ الوحدة تشكل الفائض الدلالي الذي يضاعف البياض ويحمله نحو التيه والملاحظ أنَّ الجدارية لا تتيح للموت أنْ يعمق الحزن في النفس الإنسانية وهي تواجه مصيرها؛ لأنها تبلور مفارقة جوهرية مدارها التمرد على اليأس وتجاوز الإحساس بالآلم:

"لا شيء يوجعني على باب القيامة
لا الزمان ولا العواطف. لا

أحس بخفة الأشياء أو ثقل
الهواجس. لم أجد أحداً لأسأل:
أين "أيني" الآن؟ أين مدينة
الموتى، وأين أنا؟ فلا عدم
هنا في اللا هنا... في اللا زمان،
ولا وجود" (درويش، 2001).

وهذا يكشف أن علاقة الشاعر بالزمان والمكان قلقة "اللازمان" و"اللامكان" "أين أيني الآن"؟ وهذا يجعل الذات تموج في النهايات والغموض والتشظي وقلق السؤال.

وتمتطي الجدارية صهوة اللغة لبناء عالم الحلم من خلال المجاز:

"لغتي مجاز للمجاز، فلا أقول ولا أشير
إلى مكان، فالمكان خطيئتي وذريعتي
أنا من هناك ((هنا)) ي يقفز
من خطاي إلى مُخَيَّلتي..." (درويش، 2001)

فلغة الإبداع في الجدارية هي التي تشد لها الرحال للخروج من الواقع المؤلم نحو طفولة تتموقع في المختلف لم يعشها درويش من قبل، وعنوان هذه اللغة تحقيق الهوية والوجود إذْ يقول:

أنا مَنْ تقول له الحروف الغامضات:
"اكتب تكن
واقرأ تَجِدْ
وإذا أردت القول فأفعل، يتَّحِدْ
ضدَّاك في المعنى
وباطنك الشفيفُ هو القصيدُ" (درويش، 2001)

وهنا يضع اللغة في لحظة مكاشفة روحية تمارس تأثيرها من خلال ما يضمره الإنسان من رؤية صافية تجسد فاعليتها من إشراق القصيدة وسحر جمالها.

ومن المقرر أن الدور الذي تنهض به اللغة هو استمرارية الوجود الذي تجسده الكتابة "اكتب تكن" وهنا تظهر الكتابة على أنَّها النقش الخالد الذي يشكل الحياة ويجدد إنتاجها. فاللغة هي النافذة التي يخرج من خلالها درويش إلى عالم آخر وتشكل معراج الروح نحو طفولة أخرى يقودها المجاز على جناح حمامة بيضاء نحو أقاصي الهديل، ويقرر الشاعر الرجوع إليها على أنَّها الوطن:

"لا أريد الرجوع إلى أحد
لا أريد الرجوع إلى بلد
بعد هذا الغياب الطويل...
أريد الرجوع فقط
إلى لغتي في أقاصي الهديل" (درويش، 2001)

وهكذا تحقق له اللغة المكان الذي تتموقع فيه والهوية التي تحفظ كينونته، إنها النسق الذي تلتقي عليه الأمة ويحقق الحلم المنشود من خلال اتحاد المكان والزمان، فهي عنف الرمز ومخياله الذهني، ومن هنا تكون اللغة وطناً يتحرر من الجسد ويعانق الروح التي تسافر إلى أقاصى الهديل، وهي وسيلة لتجاوز قيود الواقع الذي يلقي بثقله على الجسم فتغادره الروح في رحلة تصبح فيها: "السماء في متناول الأيدي" (درويش، 2001)

وتؤلف اللغة في الجدارية مخيالاً ذهنياً يتحد فيه الواقع بالحلم، وهي مرقاة للتماهي بين عالمين يتحدان في رؤية صافية مدارها استشراف المستقبل من خلال المتخيل الذهني، وتؤسس الجدارية لوعي الرغبة الإنسانية في إنتاج الحياة وتجددها وتجاوز حركة نهاية الإنسان بطرح البدائل الحيوية التي توقد الحياة من خلال الموت، وتبدأ فكرة تقصي ملامح الحياة بانتصار الفن على الموت:

"هزمتك يا موت الفنون جميعها
هزمتك يا موتُ الأغاني في بلاد
الرافدين مسلةُ المصري، مقبرة الفراعنة،
النقوش على حجارة معبدٍ هزمتك
وانتصرت، وأفلت من كمائنك
الخلود...
فاصنع بنا، واصنع بنفسك ما تريدُ
وأنا أريد، أريد أنْ أحيا...." (درويش، 2001).

وهكذا تضاء الجدارية بمشهد الخلود الذي يقف صخرة شامخة تتحطم عليها ضلال اليأس ويغالب درويش الموت بانتصار الفن عليه جمالياً وهزيمته على يد الإبداع، فالكلمات "هزمتك" و"أنتصرت" و"الخلود" و"أحيا" تتجاوز دائرة اليأس نحو فضاء فسيح يتحدى الضياع ويؤسس لعالم ملئ بالانتصارات وإرادة الحياة.

وهنا يتضح أنَّ "رؤية درويش للموت رؤية عميقة، ونظرة بعيدة تشكل الأشياء حسب انعاساتها في عقله وقلبه، فيصير الموت بالنسبة له معايشة الحياة، وتتجلى الفلسفة الدرويشية في نظرتها لثنائية الموت والحياة في أبعد صورها، إذْ من الموت تولد الحياة، ويتحقق النصر والوجود، وقد انتصرت هذه الرؤية على الموت انتصاراً جمالياً بما أبدعته من قصائد فريدة تعبر بعمق شديد عن قضايا شعبها وأمتها بلغة شعرية مؤثرة" (جرادات، 2013).

وهكذا تستند الجدارية إلى صهر المصير الفردي بالإنساني تحقيقاً لوعي حضاري يواجه الموت ويجعل الخلود استجابة مضادة للموت توخياً للأمل وتجاوز اليأس. فاللغة وسيلة تجاوز

لحركة الزمن وذاكرة تخلد الذات وتسهم بالاستمرارية والتجدد وتجسد حضوراً استثنائياً إذ يقودها المجاز وتتخطى الوجه التوصيلي المعهود إلى أشكال التجاوز التي تحيا بها، وتضاعف دلالالتها على نحو لا ينتهي. ويتعانق الحلم بالواقع في رحلة روحية عاصفة بالتنوير الجذري الذي يلغي المسافات بين المكان واللامكان ويبحث الشاعر عن عالم آخر يستشرفه من المستقبل الذي يحقق الحلم وهو ما تراهن عليه الجدارية: "ساصير يوماً ما أريد" (درويش 2001).

وتغدو الفكرة رمزاً لمنظومة عليا تبلغ الشاعر طموح دون حاجة للسف ويكفيها أن تكون من تفتح عشبة وشذارات صغيرة تقام عليها أفكار عظيمة:

"سأصير يوماً فكرة لا سيف يحملها
إلى الأرض اليباب ولا كتاب...
كأنها مطر على جبل تصدع من
تفتح عشبة،
لا القوة انتصرت
ولا العدل الشريد" (الجدارية، درويش، 2001).

وهنا يستدعي الشاعر الخصب والحياة والانتصار مقابل الموت والغياب والانكسار مما ينتج عالماً مفعماً بالأمل، وبهذا تراهن الجدارية على اللغة والفكرة والقصيدة والفن لتشكيل رؤية مختلفة لا تصدع لليأس والموت والنهاية ولكنها تجدد الحياة بكل أشكالها وتؤسس لمستقبل يقوده العدل والإرادة والحياة والأمل.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ز. (1990) مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار سحنون، مكتبة مصر، ص 29 – 30، 34.

إبراهيم، ن. (1978) البنائية بين العلم والفلسفة، مجلة الأقلام، العدد الرابع السنة (13) ص 6.

إبراهيم، ن. (1997) فن القص (في النظرية والتطبيق) مكتبة غريب الفجالة، ص 22.

إبراهيم، ن. (1998) نقد الرواية (من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة) مكتبة غريب، القاهرة، ص 44 – 45.

أبو ديب، ك. (1978) نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر مواقف عدد 32، ص 119.

أبو ديب، ك. (1984) جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر) دار العلم للملايين، بيروت، ط (3)، ص 7، 8.

أبو ديب، ك. (1987) دراسات في بنية القصيدة الحديثة (البنية والرؤيا) التجسيد الأيقوني الأقلام العدد الخامس، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ص 6.

أبو علي، م. (1988) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة، دار البشير، عمان، الأردن، ط(1)، ص 69.

بارت، ر. (1981) الفاعلية البنيوية (مقالتان نقلهما إلى العربية كمال أو ديب) بيروت، لبنان، مجلة مواقف العددان، (42–43).

بارت، ر. (1993) مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط(1)، ص11 – 12.

بارت، ر. (1999) هسهسة اللغة ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق ط(1) ص 17.

بحيري، س. (1997) علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) الشركة المصرية العالمية، لونجمان، لبنان، ط(1)، ص 88.

بغورة، ز. (2002) البنيوية منهج أم محتوى؟ مجلة عالم الفكر العدد (4) المجلد (30) ص 49 المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت.

بودرع، ع. (1988) نظرية تحليل النص من خلال الأصول اللسانية، مجلة الموقف، المغرب العدد (5 – 6)، ص 136.

بياجيه، ج. (1971) البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، مكتبة عويدات، بيروت، ط(1)، ص8.

ثامر، ف. (1994) اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي الحديث – بيروت، ط (4)، 43، 44، 45.

درويش، م. (2001) جدارِّية، رياض الريس للكتب والنشر – بيروت، ص 441 – 448، 457، 480، 499.

ذريل، ع .(1980) اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط (1)، ص 42، 44

رويلي، م. والبازعي، س. (2000) دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط (2)، ص 270.

الزبيدي، م. (1989) مفهوم البناء الفني في النقد العربي الحديث، الأقلام، العدد الثامن، ص 111 – 112.

ستروس، ل. (1977) الانتروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد والقومي، دمشق، ص 327، 329

سلدن، ر. (1991) النظرية الأدبية المعاصرة، دار الفكر، القاهرة، ط(1)، 116 –117.

سويدان، س. (1981) في النص الشعري، دار الآداب، بيروت، ط(1) ص 23 – 24.

صالح، هـ. (1980) البنيوية والحداثة مواقف، العدد (26)، ص81.

عبد البديع، ل. (1970) التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا) مكتبة لبنان، ط(1)، ص 106.

عزام، م. (1996) فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في

أدب نبيل سليمان)، دار الحوار، سورية، ص 28.
عصفور، ج. (1981) قراءة في لوسيان جولدمان من البنيوية التوليدية ص 87 مجلة فصول المجلد الأول، العدد الثاني.
عصفور، ج. (1998) نظريات معاصرة، دار المدى سوريا ط(1) ص 118، 119
العنزي، أ. (2013) البنيوية اللغوية عند سوسير، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عالم المعرفة، العدد (2)، المجلد 42، ص 50.
العيد، يمنى (1985) في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 35.
الغانمي، س. (1991) أقنعة النص، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، 22 – 23.
الغذامي، ع. (1985) الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر) جدة، المملكة العربية السعودية، ط(1)، ص 320.
غريماس، أ.ج. (1982) البنية الدلالية، مجلة الفكر العربي المعاصر العددان (19/18) مركز الإنماء، بيروت، ص 97.
فضل، ص. (1987) نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط(3) ص 195، 196، 205 – 206.
فضل، ص. (1992) بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة العدد (164)، ص 24، 133، 134) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.
فضل، ص. (2005) مناهج النقد المعاصر، مكتبة أطلس – القاهرة ط(4)، ص 66 –69
فضل، ص. (2007) علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط(1) ص(527، 454، 453، 454، 455)
كريزويل، إ. (1993) عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح ط(1) ص 413
الكومي، م. (2004) المذاهب النقدية الحديثة (مدخل فلسفي) تقديم: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة، ص 250.
ليشته، ج. (2008) خمسون مفكراً أساسياً معاصراً (من البنيوية إلى ما بعد الحداثة) ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط(1)، ص 518.
ماضي، ش. (1997) في إشكاليات النقد العربي الجديد، دار الفارس، الأردن، ط(1)، ص 30 – 31.
ماضي، ش. (2011) مقاييس الأدب (مقالات في النقد الحديث المعاصر) دار العالم العربي، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط(1)، ص 171 – 172.
محمود، إ. (1991) مغامرة المنطق البنيوي (الجزء الأول البنيوية كما هي) مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، دمشق، ط(1)، ص 42.
مؤنسي، ح. (2000)، القراءة والحداثة (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية) اتحاد الكتاب العرب، ص 145 – 146.
هوكز، ت. (1986) البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، إدارة الشؤون الثقافية العامة ط(1)، ص 14 – 15.

Constructivist Theories: Frameworks and Textual Transformations

Abdallah Anbar*

ABSTRACT

The present paper demonstrates that constructivism consists of multiple theories which are not only comprehensively connected but also form a joint enterprise containing multifarious concepts and developmental stages. In this sense, constructivist theories differ to fit into the agenda of different scholars and interpreters who might trace their strands of constructivism in light of the way they approach their subject of study. Therefore, this research suggests constructing a comprehensive constructivist framework that emulates the nature of literary texts and their transformations through being dynamic, adaptable, and accommodating. Such framework will also be expected to surpass empirical realizations searching for cognitive interpretations that demystify the underlying semantic formations in literary texts. Additionally, the proposed framework takes into account the strategies that contribute to forming literary texts from stylistic as well as semantic perspectives.

This research accentuates that construction is an entrance through which literary texts can be approached linguistically, stylistically and semantically. Construction, in this view, is a point of departure which enables researchers to discover levels of analysis that surpass the common textual features shaping linguistic productions. Furthermore, this paper regards constructivist theories as tools that can be utilized to explore semantic markers that supply literary texts with expressive uniqueness. The present work concludes with the idea that constructivist theories emphasize certain strategies to investigate the complicated connections between meanings and understandings. As such, reading literary texts is inherently interdisciplinary and needs analytical tools that take into consideration the commonalities among different theories in social sciences.

This research is composed of the four following sections:

First: Concepts in Constructivism:

A. Construction as an abstract layout.

B. Construction as a strategy to read constructivist connections.

Second: Constructivist Frameworks & Textual Transformations.

Third: Constructivist Strategies & Approaching Literary Texts.

Fourth: Constructivist Applications on Excerpts from a Mural by Mahmoud Darwish

Keywords: Constructivist Theories, Textual Transformations, Construction, Litrary Text.

* Faculty of Art, The University of Jordan. Received on 23/7/2016 and Accepted for Publication on 29/8/2016.